

مقدمة:

شهدت الإنسانية عدد لا يستهان به من المعارف على مر التاريخ تشكلت من خلالها أطر المعرفة العلمية التي لمسناها في سلوك الإنسان وعلاقاته، تولدت تلك المعارف المكتسبة من خلال ملاحظة الظواهر والموجودات أو عن طريق التجارب التي خاضها الإنسان للتعرف على دقائق الأمور ثم الربط بين مكوناتها أو التوصل إلى مكونات ومعارف أخرى. كل ذلك التراكم من الخبرات الإنسانية شكل لنا أهم قواعد الفكر الإنساني في شتى مجالات الحياة، من هذا المنطلق ظهرت العلاقة بين المفاهيم العلمية والمنهجية البحثية التي عكست تصور الإنسان في مستويات بناء معرفته العلمية وعلاقاتها. أما عن البحث العلمي فهو إضافة إلى كونه نشاطاً علمياً منظماً، هدفه الوصول إلى الحقائق والتعرف على العلاقات المكونة له، فإنه لا يتحقق إلا من خلال منهجية محددة لها ملامحها وخطواتها المتسلسلة والمرتبطة بطريقة منطقية ترافق البحث العلمي السليم وتساييره.

لذا ظهرت عدة دراسات في المجال العمراني والمعماري استخدم فيها الباحثين عدد من التوجهات بواسطة منهجيات بحث مهمة سواء كانت تحليلية، تفسيرية، مقارنة أو غير ذلك من المنهجيات، حيث تندرج تحت هذه التوجهات البحثية مجموعة من المحاور البحثية التي تم استخدامها من طرف الباحثين كأدوات مساعدة لفهم وتطوير نظرياتهم، ونحن بصدد إنجاز هذا البحث الذي يبحث في حقيقة وجود مفهوم الاستدامة بالتخطيط العمراني لمدينة ورقلة ماضيها وحاضرها، فإنه بات من الضروري تبني منهجية تحليلية تقودنا إلى استنباط واستقراء أهم المعايير المستخدمة في التخطيط العمراني وتقييمها حسب مقتضيات مفهوم التنمية المستدامة ودمجها في تخطيطنا الحديث، ومن أجل التوصل إلى ذلك والتأكد من صحة الفرضية المطروحة والإجابة على سؤال البحث فإننا قمنا بتسليط الضوء على الآتي:

- أهم المفاهيم الأساسية المتداولة في موضوع بحثنا هذا.
- بعض الدراسات التي تناولت موضوع التخطيط العمراني المستدام.
- سرد لأهم التوجهات الفكرية للاستدامة، وبعض التوجهات ومحاور البحث الغربية
- المنهجية المقارنة للإجابة على تساؤلات البحث.
- الخروج بهيكلية منهجية تحليلية لرفع الإبهام عن تساؤلات البحث.

1- المفاهيم الأساسية: من أجل أن تتضح الفكرة للقارئ سنقوم بسرد بعض المفاهيم الأساسية ذات الصلة بموضوع بحثنا وهي:

1-1 النظام المستدام :

إن النظام المستدام الحديث لا يتصف بالعالمية لكنه أشبه ما يكون بالكلاسيكية معرف بوساطة الظروف الإقليمية، فهو عبارة عن نظام من العمليات والأفكار تتحكم فيه الظروف العالمية، بيد أن

الوصول إلى الاستدامة الحقيقية التي تتطابق مع ثقافتها ومفهومها لا تظهر سوى انطلاقاً من تكامل عدة مجالات اجتماعية، اقتصادية بيئية. (نجيل . ك - ع وشمائل . م - و - د ، 2008).

1-2 **تعريف التشكيل**: تم تعريف التشكيل حسب (نسمات.ع-ق والتوني . س ، 1997) كالآتي:

"هو المظهر العام للمستوطنات الإنسانية ويشتمل على مجموعة الملامح العمرانية لتلك المناطق التي تتضمن: المظاهر السطحية (الشكل، الأبعاد، الحدود) والثلاثية البعاد (الارتفاعات، الكتل والفراغات)، كما يشتمل على كثافات العمران والأنشطة والوظائف والاستعمالات وتوزيعها فراغياً، ومعايير الحركة والاتصالات (الطرق والبنية التحتية) ، ويمتد ليشمل العديد من المكونات كالنسيج العمراني ونظم البناء والفراغات والطابع ونوعية البيئة المشيدة وغيرها).

1-3 **مكونات التشكيل**: يتكون التشكيل حسب (نسمات.ع-ق والتوني . س ، 1997) من الآتي:

1-3-1 **النسيج العمراني**: وهو مجموع ملامح نظام الفراغات البنائية أو شبكات الاتصالات والحركة وما يرتبط بها من فراغات وما تحدده من خطط عمرانية ، ويمتد ليشمل أنساق البناء على قطع الأراضي وما يحتويه ذلك من علاقات خاصة بسبب البناء وأنماطه.

1-3-2 **الطابع العمراني**: وهو مجموع الملامح العمرانية المميزة لنطاق جغرافي أو حيز إنساني بعينه ، يضم في ثناياه كذلك لغة التشكيل ومفردات المعمار ولامح المكان .
وعليه فإنه يمكن أن نقول بأن التشكيل له ارتباط وثيقاً بالبيئة الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية الشيء الذي يضع التشكيل مظهراً معبراً عن خصائص البيئة ولامحها.

1-3-3 **تعريف التشكيل العمراني المستدام**:

هو التشكيل العمراني والفراغي المؤثر في التنمية العمرانية بحيث يحقق التوافق المستمر للاحتياجات المتغيرة ونظم العمران وهو حسب (يوسف حسين .س و العادلي .خ-ز ، 2002) " تعبير عمراني مادي للتركيب الاجتماعي لمجتمعات المناطق الصحراوية واستخدام المبادئ والأسس المحلية للبناء لتلبية الاحتياجات الثقافية ، ويعنى كذلك بالتشكيلات العمرانية والفراغية المؤثرة في التنمية العمرانية والتي تحقق التوافق المستمر للاحتياجات المتغيرة وتنظيم العمران".

2- **مصادر تكوين نظريات تخطيط البيئة العمرانية للمدينة**:

صنف (Golding) مصادر النماذج الأولى لاشتقاق مفاهيم تكوين نظريات تخطيط البيئة العمرانية إلى ثلاث مصادر رئيسية هي حسب: (نجيل . ك - ع وشمائل . م - و - د ، 2008)

1-2 النموذج الطبيعي:

يمثل هذا النموذج جل المدن العضوية التي تحتوي على ميزة احتواء مجموعة من العناصر التكوينية على أساسها تم إنتاج تأثيرات تكون متجانسة في المجتمع وتتصف بالترار في هذه المدن على اختلاف طوبوغرافيتها حيث يعتمد هذا النموذج على:

- الربط بين المجال العام والخاص.
- الربط بين فضاء العائلة (الفناء) وممرات الحركة (الزقاق).
- هذا الربط يكون بطريقة عضوية طبيعية ذات سلسلة طبيعية.

2-2 النموذج المثالي (الطوباوية):

وهو النموذج الذي يضم بين ثناياه الحالات المثالية الافتراضية الموجودة في النظريات فقط وذلك بسبب انفصالها عن المجتمع.

فالمدينة المثالية غير موجودة إلا نظريا حتى إن وجدت فإنها تفتقد لصفة الاستمرارية كتشكيل مثالي من أجل حل مجمل المشاكل الموجودة في المدينة ، وإنما تصمم المدينة وفق وجهة نظر المصمم الانفرادية ، من أمثلتها (المدينة الفاضلة) للفارابي و (الجمهورية الفاضلة) لأفلاطون وأفكار (فينرو فيوس) للمدينة المثالية التي كانت تحمل في تصميماتها أشكال نقية مركزية (دائرية كانت أو مضلعة) ، حيث أصبحت هذه الأشكال نموذجا أساسيا يتم الاعتماد عليها في تصميم الأنماط المعمارية والعمرانية المستقبلية.

3-2 النموذج المشتق من العلوم والفنون:

وهو نموذج ظهر في العصر الحديث أين أولى المصممون جل اهتماماتهم ببعض الحقول الفنية والعلمية خارج نطاق التصميم العمراني سعيا منهم للوصول إلى حل المشاكل الحضرية المتزايدة والمعقدة التي تتناقض مع المدينة المعاصرة ، بحيث اتخذت هذه المصادر سبيلي التشبيه والترجمة من الحقول العلمية والفنية لأسباب عديدة من بينها ما ذكره (Hiller) في أحدث أبحاثه سنة 1989 (اللغة المألوفة للفضاء) حيث قال: *في مدن القرن العشرين تم اعتماد نماذج العلوم لتحسين فهم المدينة* ، من كل هذا وعلى الرغم من الفوائد المستقاة من هذا النموذج إلا أن النتائج كانت مختلفة عن ما كان يرجى الوصول إليه فكل ما تم حل مشكلة ما كانت تتبع بمشكلة أخرى ، وكل ذلك كان سببه النظرة الضعيفة للمشاكل التي تخص المدينة وتنظيمها الفضائي.

3- التوجهات الفكرية للاستدامة المعمارية والعمرانية:

- إن الاستدامة في العمارة والعمران تحمها قوى من بينها (الحضارة أو الثقافة أو المناخ أو العوامل الاجتماعية) من شأنها أن تكون محتواة في دولية وعالمية التنمية المستدامة ، بحيث أن توازنت كل من النتائج العالمية والمحلية تتولد أحداث عملية الاستدامة.
- فجذور الحركات والمسيرات التي تدعو للاستدامة تمتد إلى القرن التاسع عشر حيث أن كل من:
- (جون رسكن و وليام موريس وريتشارد ليتابي) على حسب طريقة كل واحد منهم الخاصة طرحوا تساؤلا فحواه:
 - هل التصنيع سيرضي الوجود الفيزيائي للإنسان والاحتياجات الروحية الخاصة به؟
 - أ- راسكن : دعا إلى أن يكون التطوير العمراني والمعماري مبنيا على نظام متناسق مع الطبيعة.
 - ب- موريس: اقترح العودة إلى المناطق الريفية والاستناد إلى ما تنتجه الكفاءة الذاتية والقدرات الفنية المحلية .
 - ت- ليتابي: ذهب في العديد من مقالاته إلى دعوة المعمارين لملاحظة جمال الأنظمة الموجودة في الطبيعة.

إذن فكل من (ريتشارد وجون وويليام) استخدموا كلمة (الطبيعة) التي يقابلها اليوم كلمة الاستدامة مع نهاية القرن التاسع عشر.

جاء بعد هؤلاء رواد وباحثين عملوا على تطوير الأفكار التي سبقتهم من بينهم (باتريك جيس) في اسكتلندا ، (بكمسترفولر وفرانك ولوبد رايت) من أمريكا ،(حسن فتحي) من مصر ، لكن بأساليب مختلفة عن بعضها البعض ، حيث أن (فتحي ورايت) أخذوا اتجاها مخالفا فكلاهما أرادا استخدام مواد محلية محاولة منهم تقديم عمارة وعمران حديث بعيد عن المباني التقليدية ، فمن خلال هذه العملية تم تقديم فكرة تستند إلى أن الاستدامة الاجتماعية والتخطيط البيئي كلاهما يملكان علاقة قوية في النظام المستدام.

4- بعض الدراسات السابقة في مجال التخطيط العمراني المستدام:

عمدت عدة مدن في أوروبا إلى العمل بكل جدية طلبا منها ورغبة في الوصول إلى مدن مستدامة تلبية منها لمطالب الأجنحة 21 فمن بين هذه التجارب:

4-1 الدراسة السويسرية:

تمثلت هذه الدراسة في وصف مدينة (Zurch) التي اعتمدت معايير تخطيط أساسية على مستوى المدن السويسرية كذلك على المستوى الإداري الذي يقوم بصناعة القرارات المهمة بالنسبة لتخطيط

المدينة، حيث قام المكتب العمراني للتنمية المستدامة للتنمية المستدامة ل (Zurch) بوضع هدف أساسي مضمونه إحداث تطوير لمجموعة من المعايير الخاصة بالتنمية العمرانية المستدامة في سنة 2000 م ضمن نشاطه الخاص بالتنمية العمرانية المستدامة حيث عمد في عمله إلى :

- تكليف مجموعة عمل بخبرات مختلفة و ذات كفاءة إدارية من المعهد الفدرالي السويسري (IRL) وكذا المعهد التكنولوجي (ETH Zurch) .
- هذه الأخيرة قامت بتطوير مجموعة من المعايير خلال عقد عدة ورشات عمل تميزت بالنقاشات المتواصلة و الفعالة مع مجلس التنمية المستدامة لمدينة (Zurch) حيث أعطت التعريف الدقيق لهذه المعايير و توصلوا إلى أنها يجب أن : (ر . ديب ، س . مهنا ، 2002)
- تمثل الأبعاد الثلاثة للتنمية المستدامة (اجتماعية ، اقتصادية ، و البيئية) .
- تتأثر بالنشاطات الإدارية .
- قومية تعكس المواضيع و النشاطات العالمية و كيفية إسهام مدينة (Zurch) في التنمية العمرانية المستدامة .
- سهولة القياس بحيث يمكن الوصول إلى البيانات و الحصول عليها بسهولة
- سهولة الفهم .
- استقلالية فيما بينها (مستقلة بعضها عن بعض) .

2-4 الدراسة النرويجية:

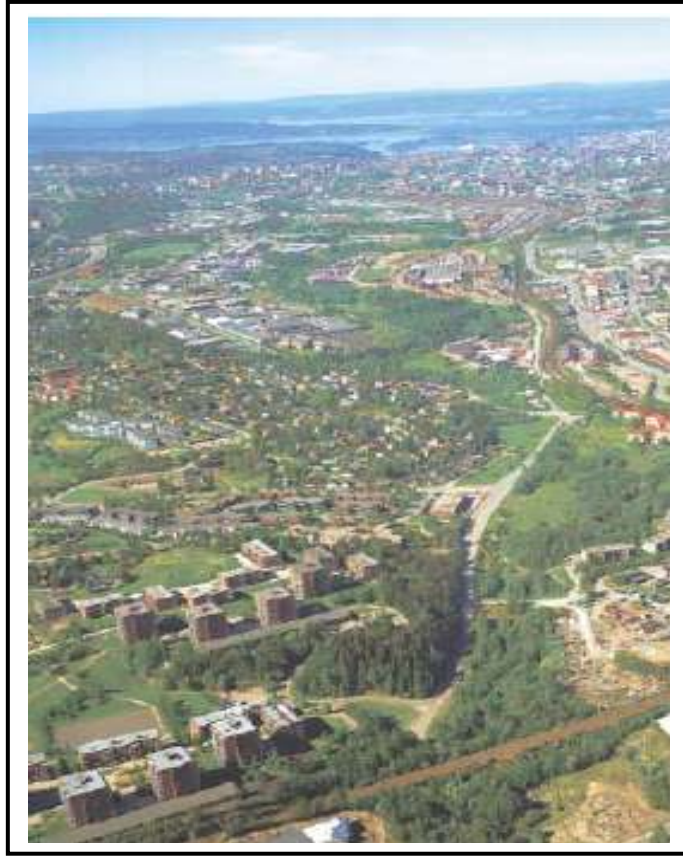
متمثلة في مدينة (أوسلو) حيث تم الاعتماد على ما يسمى (بالورقة البيضاء) من طرف الحكومة كإستراتيجية للتنمية العمرانية حيث تأخذ في الحسبان :

- الوضعية التي آلت عملية التنمية العمرانية المستدامة عالميا
 - تدرس الوضع الراهن للمدينة مع تحديد مجمل التحديات المواجهة لها .
 - ثم قامت بوضع رؤية إستراتيجية مستقبلية للمدينة .
- تم الاعتماد خلالها على وضع برنامج عمراني يقوم بتحديد الأهداف و مجالات العمل حسب الإستراتيجية التي تم اقتراحها. بدايتها كانت سنة 2003 إلى غاية 2014 م إضافة إلى وضع برنامج للمراجعة كل أربع (04) سنوات.

حيث وصلوا إلى تحقيق الأعمال التالية :

- حماية البنى التحتية الخضراء و الزرقاء لأنها تميز مدينة أوسلو حيث أنها محاطة بهضبة غابات خضراء ووجود حدائق و بحيرات فضلا أن بها ثمانية أنهار تجري بين النسيج العمراني . (الشكل) .
- انبعاث قليل من الغازات لأن السكان يستخدمون الكهرباء الناتجة عن الطاقة المائية .

- يتم بها إحراق النفايات المنزلية الشيء الذي يقلص من الانبعاثات الأرضية .
- يتم استخدام الوقود البيئي و الطاقة الحرارية الأرضية .
- 3/2 من سكان مدينة أوسلو يتنقلون على متن السكك الحديدية الكهربائية و المشي .
- اعتماد مبدأ اللامركزية حيث بها 25 مقاطعة عمرانية كل لها منتخبون محليون يشرفون عليها ومنه فإن ما قام به هذا البرنامج أتى بثماره لأن مدينة أوسلو حُصيت بلقب المدينة المستدامة عام 2003 م .



الصورة (III-1): مدينة أوسلو بنسيجها العمراني مع دمج الحدائق وعنصر الماء.
المصدر: (ديب. ر و مهنا.س، 2009).

5- أسس ونظريات التشكيل العمراني المستدام:

من أجل الوصول إلى ملامح الاستدامة يجب أن نلقي نظرة على أسس ونظريات التشكيل العمراني المستدام التي من شأنها أن تكون متوافقة مع مفاهيم التنمية المستدامة التي جاءت كثمرة لجهود مجموعة من المنظرين من بينهم:

1-5 نظرية (Frey.H, 1999) و (Williams.K, 2000) في ثلاث عناصر أساسية مؤثرة في المدينة وهي:

* إمكانية الوصول: أي السهولة لبلوغ المقصد والتعرف إلى السبل المؤدية للهدف المنشود
* التقارب: انضمام المساكن وقاطنيهم إلى بعضهم البعض للحد من الاستهلاك المفرط للمجال وتقصير المسافات لتسهيل قضاء الحوائج.

* اندماج الوظائف:

وضع الوظائف داخل النسيج بطريقة مدمجة والحصول على مناطق سكنية تحوي أكبر قدر من توفير المتطلبات للسكان التي تتوافق مع احتياجات الإنسان وهي:

- توفير الاحتياجات العمرانية (تدرس خصائص المدينة، درجة الاحتواء، الكثافة ، معدلات السكان)
- توفير الأمن والأمان: الحماية البيئية والإيكولوجية
- توفير الانتماء الاجتماعي والتواصل بين المجتمع
- تحقيق الكيان (الهوية) والصورة الجيدة
- إمكانية الإبداع: مساهمة الطاقة البشرية والأهالي في التشكيل العمراني
- تحقيق البيئة الجمالية

2-5 نظرية (Barton. H, 1999): حيث حدد مبادئ التشكيل العمراني المستدام من خلال المعايير الآتية:

- زيادة الاكتفاء الذاتي
- تصميم المجاورة السكنية
- تحقيق حاجيات الإنسان وتلبية الأهداف الاجتماعية والبيئية
- تشكيل العمران حول الطاقة الفاعلة وتخطيط شبكات الشوارع
- تشكيل شبكة الفراغات المحدودة
- التركيز الخطي والتضام وتشكيل شارع المستقبل كمركز اجتماعي للحي
- استراتيجية استخدام الطاقة والمياه.

6- توجهات ومحاور البحث الغربية:

لقد تعددت التوجهات البحثية وتصنيفاتها وذلك تبعاً لمنهجية البحث سواء كانت تحليلية، مقارنة أو تفسيرية... الخ ، التي بدورها تتدرج تحت مجموعة من المحاور البحثية المهمة اعتمدها الباحثون

كأدوات تساعدهم في تطوير وفهم نظريات كثيرة، فالتوجه البحثي يعني الإطار العام الذي يدور حوله الباحث ، حيث تم رصد نوعين من التوجهات البحثية حسب (حسام الدين اللحام .ع ،2004) وهي:

6-1 التوجه الثابت:

وهو ذلك التوجه الذي ينظر للمدينة ككيان ثابت غير متغير ، وهو بذلك يركز في تحليله للمدينة اعتباراً من كونها ظاهرة نموذجية من دون مراعاة المتغيرات الزمانية والمكانية وبذلك فإن مستخدمي هذا التوجه ينظرون إلى المدينة بأنها منتج نهائي لا عملية مستمرة في الإنتاج ، وهذا ما يفسر أن أصحاب هذا التوجه ركزوا على الناتج وليس على العمليات التي أنتجته ، ومن بين هذه التوجهات المنهجية التي اعتمدت هذا التوجه الآتي:

7- المنهجية المقارنة وأهم نظرياتها المطبقة في العمران:

7-1 المنهجية المقارنة:

تم استخدام المنهجية المقارنة بشكل واسع خاصة في الدراسات القانونية، والاجتماعية بهدف مقارنة ظاهرة اجتماعية بنفس الظاهرة في مجتمع آخر أو في مجالات أخرى اقتصادية، سياسية،... الخ. كما أن استخدام هذه المنهجية يتيح الفرصة بالتعمق والتدقيق في موضوع بحثه ، حيث تكون المقارنة في الدراسة من أجل إبراز خصائص وميزات كل موضوع من مواضيع المقارنة وتبين أوجه الشبه والاختلاف بينهما ، ولهذه المنهجية فضل كبير في تطوير بعض العلوم منها السياسية حيث تم استخدامها من طرف اليونان عن طريق دراسة أنظمتها السياسية بالمقارنة ، كما قام أرسطو بمقارنة 158 دستوراً من دساتير هذه الدول وكانت بذلك ثورة بارزة من ثورات المنهجية في علم السياسة ، وقد تم استخدامها من طرف العديد من رواد الفكر الغربي من أمثال: كومت ، سبنسر ، هوبنز ، وغيرهم من أجل التحليلات المقارنة للظواهر والنظم الاجتماعية ، وهناك نماذج أخرى من الدراسات المقارنة في أعمال دوركايم وإسهامات كل من دافي و مورية في دراسات المقارنة للنظرية السياسية والقانونية.

7-2 نظريات المقارنة:

تم استخدامها في الدراسات الحضرية بهدف المقارنة بين الثقافات المختلفة، وتتضمن إيجاد أو تبني نموذج ما يتم من خلاله مقارنة الظواهر الحضرية الأخرى به ويمكن تقسيمها إلى نوعين هما:

أولاً: النظريات التي تبحث عن أوجه التشابه مع النموذج المقترح.

ثانياً: النظريات التي تبحث عن أوجه الاختلاف بين الظواهر، حيث تعتبر منهجية فيبر من هذا النوع.

ومن بين هذه النظريات الآتي: (حسام الدين اللحام.ع ،2004)

7-2-1 نظرية النموذج المثالي:

جاءت هذه النظرية على يد المنظر فيبر يدرس من خلالها ظاهرة ما ويقارنها مع نموذج مثالي افتراضي يتبناه الباحث نفسه ، حيث أن النموذج المثالي لا يعتبر نموذج معياري نسعى لتحقيقه ، وإنما عبارة عن نماذج تم اشتقاقها من الحياة الواقعية عن طريق منهجية تجريبية في تحليل الوقائع يتم خلالها التركيز على بعض الجوانب من الظاهرة المدروسة بواقعية وإظهارها بطريقة مجردة مثالية ، ويتم بعد ذلك مقارنة الوقائع المشابهة لهذا النموذج.

7-2-2 نظرية التشابه المناطقي:

جاءت هذه النظرية على يد بارك (park) من مدرسة شيكاغو الذي ينظر للمدينة من خلال التوزيع الوظيفي والخطي فيها أو ما سماه المناطق الطبيعية إلى عدة أنواع يشكل كل نوع منها نموذجا افتراضيا يمكن اعتباره وسيلة تستخدم في دراسة المناطق المشابهة به في أماكن أخرى.

7-3-3 النظريات ثنائية الأقطاب:

ترتكز هذه الأخيرة أساسا على المقارنة بين نقطتين أو قطبين كوسيلة هدفها توضيح بعض المفاهيم، حيث تهتم بتوضيح ميزات كلي القطبين، ومن بين أهم الثنائيات التي تم دراستها وفق هذه المنهجية الآتي:

7-3-1 ثنائية المدينة - الريف:

ظهرت في كثير من الدراسات خاصة عند رواد علم الاجتماع الحضري في الغرب وذلك في حدود القرن التاسع عشر أمثال ماركس من خلال نظرياته في إبراز الثنائية المتضادة مدعيا أنها ظهرت بسبب اختلاف نمط الإنتاج ونظام الملكيات الخاصة في كل من المدينة و الريف ، وجاءت كذلك مع الباحث ريد فيلد (Redfield) من مدرسة شيكاغو حيث ميز بينهما من خلال طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة في كل منهما.

7-3-2 ثنائية مدن الشرق - مدن الغرب:

من خلال دراسة فيبر عام 1905 م حيث ميز فيبر بين المدينة في الغرب المحققة برأيه نموذجها المثالي للمدينة وبين المدينة في الشرق ، وخلص أن المدينة النموذجية في الغرب هي مدينة العصور الوسطى في شمال أوروبا ، أما مدينة الشرق فهي أي مدينة كانت غير غربية وفي أي ظرف كانت سواء كان زمانيا أو مكانيا معاصرا كان أو سابقا للمدينة الغربية.

7-3-3 ثنائية العلاقة الميكانيكية - العضوية أو ثنائية الجماعة - المجتمع:

تم استخدام هذه النظرية من طرف دوركايم (Durkhem) كوسيلة لتفسير التغير الذي طرأ على المجتمعات الحديثة معتمدا في ذلك على منهجية تجريبية أساسها الملاحظة المباشرة ، بحيث يرى أن

التغير حصل في طبيعة التلاحم الاجتماعي بين أفراد المجتمع في التجمعات الحديثة ، وقارن بين المجتمعات التقليدية والحديثة فخلص إلى أن المجتمعات التقليدية تتميز بالتلاحم الاجتماعي الميكانيكي القائم على علاقات الاتفاق الجماعي حول القيم والأخلاق بينما المجتمعات الحديثة الصناعية على التلاحم الاجتماعي العضوي القائم على أساس التقسيم العالمي ، وقد تأثر بهذا المنهج الباحث تونيس (Toennies) في الفترة 1855-1936.

4-3-7 الثنائية المدينة المنتجة - المدينة الطفيلية :

أستخدمها هذه النظرية كل من جيفرسن (Jefferson) 1939 و هوسيلتز (Hoselitz) 1955 بعده في داستهما للمدينة، كما استخدمها كانمان في تصنيفه للمد الإسلامية حيث صنف المدن الدفاعية مثل فاس بالمغرب والمدن الدينية مثل مكة المكرمة وكربلاء بأنها مدن طفيلية.

4-7 النظريات التأويلية:

تهتم هذه النظرية بتوضيح الغامض عن طريق رفع الإبهام عنه ، حيث اعتمدت مبدأ فهم الجزء من خلال من خلال ربطه بالكل ، فهي عملية حوارية بين الجزء والكل يتم عن طريقها فهم الكل الغامض من خلال فهم الأجزاء وبعد ذلك يتم استخدام هذا الكل بعد رفع الغموض عنه لتفسير الأجزاء على ضوء الكل ومن بين هذه النظريات الآتي:

1-4-7 نظرية التشاحن الحضري:

هذه النظرية تفترض أن المجتمع في حالة دائمة من التشاحن والصراع وذلك راجع للاختلافات الحاصلة بين مصالح المجموعات فيه ، وهذا يبرر أن ما يربط المجتمع ليس اتفاق بل خلاف الذي بدوره يخضع المجموعة الضعيفة لأهواء المجموعة القوية، ومن بين روادها ماركس وفيبير في القرن التاسع عشر وفق اتجاهين فماركس ركز على التشاحن الاقتصادي أما فيبير ركز على القوة والسلطة.

2-4-7 نظرية الاتفاق:

وهي النقيض لنظرية التشاحن الاجتماعي حيث افترض هذا التوجه وجود إنفاق بين أفراد المجتمع بشكل جماعي أساسه المبادئ المشتركة من خلال التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع ومن بين مؤكدي هذا التوجه دوركايم ، والمدرسة الوظيفية في منتصف القرن العشرين عن طريق بارسونز (Parsons) .

3-4-7 نظرية النشوء الطبيعي:

وقد تم تقديمها من طرف بارك و مكنزي (Mckenzie) من مدرسة شيكاغو عن طريق مفهوم التنافس و التكيف في نظريتهم للتبنيؤ الإنساني ، وذلك في تفسير عملية التوزيع الخطي في المدينة وآلية الحفاظ على استقرار النظام الاجتماعي فيها ، أين يتضمن هذا المفهوم العلاقة الوطيدة بين الإنسان و البيئة المؤدية في النهاية إلى التكيف الوظيفي.

4-4-7 النظريات التحليلية - الفرضية :

الفكرة الأساسية في هذه النظريات هي استخدام منهجية تحليلية استقرائية من أجل الوصول إلى فرضية تخص الظاهرة الحضرية المدروسة، وبعد ذلك يتم استخدام هذه الفرضية كنموذج لدراسات الحالات المشابهة الأخرى ومن أهمها: (حسام الدين اللحام. ع، 2004)

5-4-7 **نظرية الموقع :**

تم تقديمها من طرف بارك عن طريق فرضية لنمط التوزيع الفراغي و الوظيفي للمدينة وذلك على شكل نموذج مادي انطلاقاً من مفهومه للتبنيؤ الإنساني من تحليلاته الفراغية الوظيفية والاجتماعية في مدينة شيكاغو ، حيث اعتبر هو وأتباعه نموذجاً عالمياً لتطور المدن.

8- **التوجه الديناميكي:**

قبل التطرق إلى هذا التوجه نعرض على ماهية الديناميكية وأهم المعطيات التي ترتبط بها فالديناميكية هي: "مختلف العناصر التي تؤثر على تطور المدينة عبر توسعاتها وتحولاتها واستمرارها المتنوع". (نوبيات . إ ، 2006)

انطلاقاً من مفهوم الديناميكية نصل إلى أن هدفها هو فهم الاتجاه التاريخي لتطور المدينة ومعرفة آفاق تطورها ونموها وما وصلت إليه من ازدهار في شتى المجالات الاجتماعية، الاقتصادية والعمرانية التي تمثلت في: حسب (نوبيات . إ ، 2006)

- تنوع الوظائف.

- الضغط والكثافة السكانية.

- المضاربة العقارية.

- تشخيص شغل الأراضي.

وعليه فإن الدارس للديناميكية لابد له من جوانب يجب أن يعرفها وهي: حسب (نوبيات . إ ، 2006)

- **الجوانب الاقتصادية:** هي كل المعطيات المرتبطة بالجهاز الاقتصادي ممثلاً في وسائل الإنتاج والتوزيع التي تحتوي عليها المدينة.

- **الجوانب الاجتماعية:** وهي العلاقة بين الجانب الاجتماعي ومختلف ما يحيط بها من البيئة المحلية.

- **الجوانب المحلية:** من خلال طريقة تنظيم الوسط العمراني (كتركيز السكن ، التجمعات... الخ) ، وذلك عن طريق:

- معرفة استثمارية نمو المدينة.

- معرفة العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي كانت مصدر للنمو العمراني.

- نمط وطريقة التجاوب المحلي لاحتياجات النمو لعمراني.

- شكل التركيب العمراني المعتمد.

1-8 أهم رواد التوجه الديناميكي:

هو توجه انطلقت دراساته من خلال التركيز على الآليات التي أنتجت البيئة العمرانية ، وهذا ما يفسر على أنها تعاملت مع المدينة كعملية إنتاج مستمرة تتغير تبعاً للظروف المكانية والزمانية مع التحولات الاجتماعية ، الاقتصادية ، والعمرانية ومن بين الدراسات التي اعتمدت هذا التوجه ما يلي حسب : (حسام الدين اللحام . ع ، 2004)

1-1-8 دراسة سبايس (Spies) سنة 1927 و برونشفيج (Brunschvig) سنة 1947 :

هما أول من استخدمتا التوجه الديناميكي في الدراسات العمرانية والمعمارية أين ظهرت وبدت ملامح هذا التوجه في دراسة المدينة الإسلامية حيث قام:

*** دراسة سبايس (Spies) سنة 1927:**

قام بتوجيه اهتمامه أثناء دراسته إلى الشريعة الإسلامية واختص في دراسته على العلاقات بين الجيران ، وجاء تركيزه على الآلية التي تم إنتاج المدينة من خلالها وعدم الاعتماد على مظهرها الظاهر للعيان.

• دراسة برونشفيج (Brunschvig) سنة 1947 :

اعتمد في دراسته استخدام بعض المخطوطات الإسلامية في العصور الوسطى إلى الشريعة الإسلامية كقانون عمل بها القضاة في المجالات العمرانية ، وعن طريقها تم إنتاج التركيبة العمرانية للمدن الإسلامية ذات الطابع المميز واستلهم من خلالها بعض المبادئ والمعايير العمرانية في المدينة الإسلامية في المدينة الإسلامية تم استخدامها من طرف المسلمين في بناء وتصميم مدنهم مثل مبدأ الضرر والطرق غير النافذة ، وطبيعة شبكة الطرق والممرات ، والعلاقة بين الجيران وتقسيم حقوق العقارات ، وهنا استطاع الباحث **برونشفيج** من ربط علاقة بين ما هو ظاهر للعيان والآلية التي تم استخدامها لإنتاج المدينة رغم استخدامه من خلال دراسته المنهجية الاستقرائية في تعميم نتائج دراسته على المدن الإسلامية بأكملها ، لكن هذه المنهجية لم تستمر بوادرها إلا بعد نهاية السبعينات على يد باحثين عرب الذين أعادوا إبراز هذا التوجه في دراساتهم ومن بينهم: (حسام الدين اللحام . ع ، 2004)

2-1-8 دراسة الهذلول سنة 1981:

استخدم **الهذلول** الأحكام العرفية كمحور رئيسي لفهم المدينة الإسلامية ، حيث ركز في دراسته على أعراف استخدام المكان وهي دراسة تعتبر خطوة مقدمة لما بدأه كل من **سبايس** و **برونشفيج** فعمل على إجراء مقارنة بين المدينة العربية الإسلامية التقليدية والمدن المعاصرة واستنتج من خلال دراسته أن عدم الاستمرار بين العمران التقليدي والمعاصر ناتج عن استخدام المدن العربية المعاصرة إلى آليات تنظيمية حديثة تم فيها استخدام أنظمة وقوانين ركزت على التركيبة العمرانية دونما الاهتمام للقيم والعادات والمعتقدات الخاصة بالمجتمعات الإسلامية ، ومن خلال هذه الدراسة بلمس التطور الحاصل في نمط البناء المميز لها طبقاً لأعرافها الاجتماعية وهنا تم استخدام آليات إنتاج العمران في المدن الإسلامية على

علاقات تبادلية بين الشكل العمراني والاستخدام من دون تحديد سابق للحلول النهائية لعمران المدينة عكس المدن المعاصرة التي احتوت على علاقة حتمية بين الشكل العمراني والاستخدام أين يتم إنتاج الشكل العمراني أولاً ومن خلال هذا الشكل يتم تحديد طبيعة الاستخدام ثانياً.

8-1-3 دراسة جميل أكبر 1984 م:

وهو من بين الذين تقبلوا فكرة المنهج الديناميكي وتمحورت دراساته حول فكرة المسؤولية في العمران ، حيث تبني فكرة أن العمران نتاج تداخل أفراد ومؤسسات لها حقوق مختلفة ، فكانت الفكرة الأساسية التي تم تصورها من طرف الدكتور أكبر أن *البيئة العمرانية عبارة عن سلسلة من القرارات أو التدخلات المتركمة لأفراد أو جماعات تتمتع بقيمة مختلفة* . (حسام الدين اللحام . ع ، 2004)

وبذلك يكون الدكتور أكبر قد وضع نموذج قياس المسؤوليات عن طريق ما يتمتع به المتصرفون باستخدام المنظومات الخاصة بحقوق مجتمعاتهم ، وهنا تم إثارة نموذج أنماط المسؤولية الخاصة بمسألة نوعية البيئة كهدف عمراني بإيجاد آليات ألفت كامل المسؤولية العمرانية على السكان التي من بينها آليات إحياء الأرض والارتفاق بها مكونة بذلك عمراناً ذاتي التشييد، ذاتي الخدمات، وذاتي الحلول وتميزها بنوعية بيئة عالية ولها القدرة على خدمة حاجيات وعادات السكان.

هذه الدراسات وغيرها قامت باستخدام التوجه الديناميكي في دراساتهم حيث سار على خطاهم واتبع منحاهم كل من:

8-1-4 دراسة مصطفى بن حموش 2006 :

جاءت هذه الدراسة تحت عنوان (جوهر التمدن الإسلامي) ، وتمحورت في عمومها على أهم الركائز النظرية التي نشأت عليها المدينة الإسلامية ، حيث سلط الباحث في دراسته إلى جملة من الأهداف كان أهمها جوهر التمدن الإسلامي وذلك عن طريق استقراء ثنائي تمثل في النص الإسلامي والبيئة الحضرية القديمة ، حيث انطلق الكاتب من مصطلح التمدن وهو ما يرادف العمران أو نشوء المؤسسات البشرية ، وخلالها أبرز في دراسته أن للتمدن الإسلامي جوهرًا ومظهرًا ، وبعد ذلك بين الخطأ الذي وقع فيه الباحثين بحسب رأيه كونهم ركزوا على مظهر التمدن الإسلامي عن طريق إظهار خصائصه الشكلية مثل : استعمال الأفواس ، الزخارف ، القباب ، الواجهات الصماء ، الخ ، وهو ما تشترك فيه أغلب المدن الإسلامية كطراز مادي ثابت على حسب قوله لتتعدى دراسته هذه المادية الثابتة إلى جوهر ولب التمدن الإسلامي الذي يستمد ديناميكيته من قوة الشريعة والعقيدة الإسلامية متمثلة في المقاصد القيمة للدين الإسلامي منها: القرابة ، النسب ، حفظ الأعراض ، حدود استعمال السلطة ، مبدأ عدم الضرر والمحافظة على البيئة ، الخ ، وهي مقاصد تتشابه في أهدافها مع أهداف التخطيط العمراني المستدام.

9- المنهجية التحليلية المتبعة في البحث:

من خلال ما سبق وبحكم طبيعة الموضوع الذي بين أيدينا ، وبغية البحث عن أفضل المعايير التخطيطية العمرانية والمعمارية التي استخدمها الإنسان قديما وحديثا ، والاستفادة من الخبرات المتراكمة وما تم تجسيده على أرض الواقع في الماضي والحاضر فإننا ومن خلال هذا البحث نتطلع إلى مستقبل يستلهم كل ما هو إيجابي ويدحض السلبي من المعايير المستعملة للوصول إلى أفضل تخطيط عمراني ومعماري يخدم الأجيال المتعاقبة .

ولهذا فإن أنسب مقارنة نستطيع عن طريقها الوصول إلى ما نطمح إليه هي المقارنة ، وذلك إنطلاقا من مجمل النظريات المقارنة التي استخدمها أمثال فيبر وبارك ريدفيلد ودوركيمايم ...الخ في دراساتهم للمدن وخصائصها وتحديد الفروق بينها.

وعلى هذا الأساس تبيننا في جزئنا التحليلي هذا ثلاث خطوات تحليلية مهمة هي:

9-1 دراسة تحليلية وصفية لقصر ورقلة:

كخطوة أولى في الجزء التحليلي الخاص ببحثنا قمنا بتحليل ما تم جمعه من معلومات وحقائق وما تم ملاحظته ووصفه من النماذج الحية أو الوثائق المتوفرة على قصر ورقلة العتيق ، وذلك سعيا منا لاستنتاج كل ما له صلة بمشكلة البحث من حقائق ومعلومات ومواد ومفردات في الحقل الميداني المدروس ، وضمن إطار الحدود الموضوعية له للتوصل إلى الدلالات والبراهين التي تجيب على تساؤلات البحث وتحقق أهدافه المرجوة.

9-2 دراسة تحليلية وصفية مقارنة بين الثنائية: (قصر ورقلة - حي 460 مسكن):

اشتمل هذا الجزء من التحليل على إجراء مقارنة بين نسيج عمراني قديم وآخر حديث وفق مستويين اثنين الحضري والمبني بناء على دراسة ميدانية تم خلالها بناء استمارة استبيان كوسيلة للتحليل مدعمة بالملاحظة والصور الفوتوغرافية والمخططات من أجل تفسير الظواهر التي يشتمل عليها البحث وذلك على النحو التالي:

أ- المستوى الحضري:

الذي يتعامل مع المقياس الخاص به ، وذلك عن طريق البيئة الفيزيائية والطبيعية إلى جانب خدمات البنية التحتية ، وفيه سنقوم بدراسة وتحليل الخصائص العمرانية وفقا للهيكلية العمرانية التي تطبع كل حي عن طريق دراسة مقارنة للأنماط العمرانية للقصر وحي 460 مسكن تبدأ بدراسة النسيج العمراني من خلال التعرف على الأنشطة والخدمات العامة وطرق توزيعها ونسبها ، ودراسة الخدمات العامة والمرافق كطرق تخطيط الشبكات المختلفة ، وتحليل الشوارع والفراغات العمرانية من

حيث مقاييس عروضها أو نمطها أو توزيعها ونسبها ، وكل هذه الدراسات يتم إسقاطها على الظروف الاجتماعية والاقتصادية لكلى الحيين وما تقدمه من حاجيات إنسانية.

ب- المستوى المبني:

الذي يتعامل مع البيئة الداخلية للمبنى بحيث أن عملية البناء وتحقيق صيغ الاستدامة ذات الصلة المباشرة بالمصمم الحضري وبمخطط المدن ، لذلك فإن التكامل بين هذين المستويين ينتج لدينا بيئة مصممة ومتكاملة عبر مستوياتها المترتبة من مقياس المدينة إلى الوحدة الحضرية وصولاً إلى المبنى وفضاءه الداخلي ، وفيه سنقوم بدراسة وتحليل الخصائص المعمارية بدأً من النموذج السكني للحى بغرض الوصول إلى نقاط التشابه والاختلاف بين النموذجين السكنيين ونمط البناء وارتفاعات المباني وحالة المساكن ومواد البناء المستخدمة والتشكيل الخارجي للجزء المبني على حساب الفراغ ، كذلك الجزء الداخلي وما يحتويه من فراغات معمارية ومدى توافقها اجتماعياً وبيئياً واقتصادياً مع طبيعة المنطقة ، وفي نهاية الدراسة التحليلية نستخدم الجداول كوسيلة لتسجيل الملاحظات والاستنتاجات التي خلصت بها الدراسة الميدانية من خصائص عمرانية ومعمارية مع تقييمها بأهم الجوانب الرئيسة في الحياة سواء كانت اجتماعية ، بيئية ، اقتصادية.

3-9 دراسة تحليلية مقارنة بين: (المعايير التخطيطية بالقصر- أسس ونظريات التشكيل العمراني المستدام):

اشتمل هذا الجزء من التحليل على إجراء مقارنة بين ما تم استنتاجه من معايير تخطيطية بقصر ورقلة المدونة في الجداول ومقارنتها مع ما وضعه المنظرين (كنموذج مثالي أعمال كل من: Frey.H, 1999 وWilliams.K, 2000 وBarton. H, 1999) من أسس ومعايير تخطيطية محققة للاستدامة ومسيرة لمراحل التحليل وانسجامه فإن عملية المقارنة هذه كانت على مستويين المستوى الحضري والمستوى المبني ، بحيث تم استخدام التحليل الوصفي عن طريق المخططات والصور والملاحظة المباشرة كوسائل بحث من أجل الكشف عن وجود ملامح الاستدامة بقصر ورقلة إنطاقاً من رصد أهم المعايير التي تتوافق مع متطلبات التنمية المستدامة ، والتي تبناها الباحثين أعلاه في نظرياتهم الخاصة بالتشكيل العمراني وفقاً للعناصر المحورية الأساسية الاجتماعية ، البيئية والاقتصادية.

بعد الإنهاء من الجزء الثاني من التحليل الوصفي المقارن يم استنتاج المعايير التخطيطية المحققة لملامح الاستدامة بقصر ورقلة وتدوينها حسب العناصر المحورية للتنمية المستدامة التي يتم دمجها في التخطيط العمراني بورقلة بواسطة تجسيد أهم المعايير المحققة للاستدامة التخطيطية على المستويين الحضري والمبني.

10- أدوات ومصادر البحث:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على جملة من التقنيات والأدوات التحليلية من بينها:

* **الملاحظة الميدانية**: وهي تقنية بحث لا تتوقف عند الوصف المجرد للظواهر المدروسة بل تتعداه إلى التحليل العميق والمدقق .

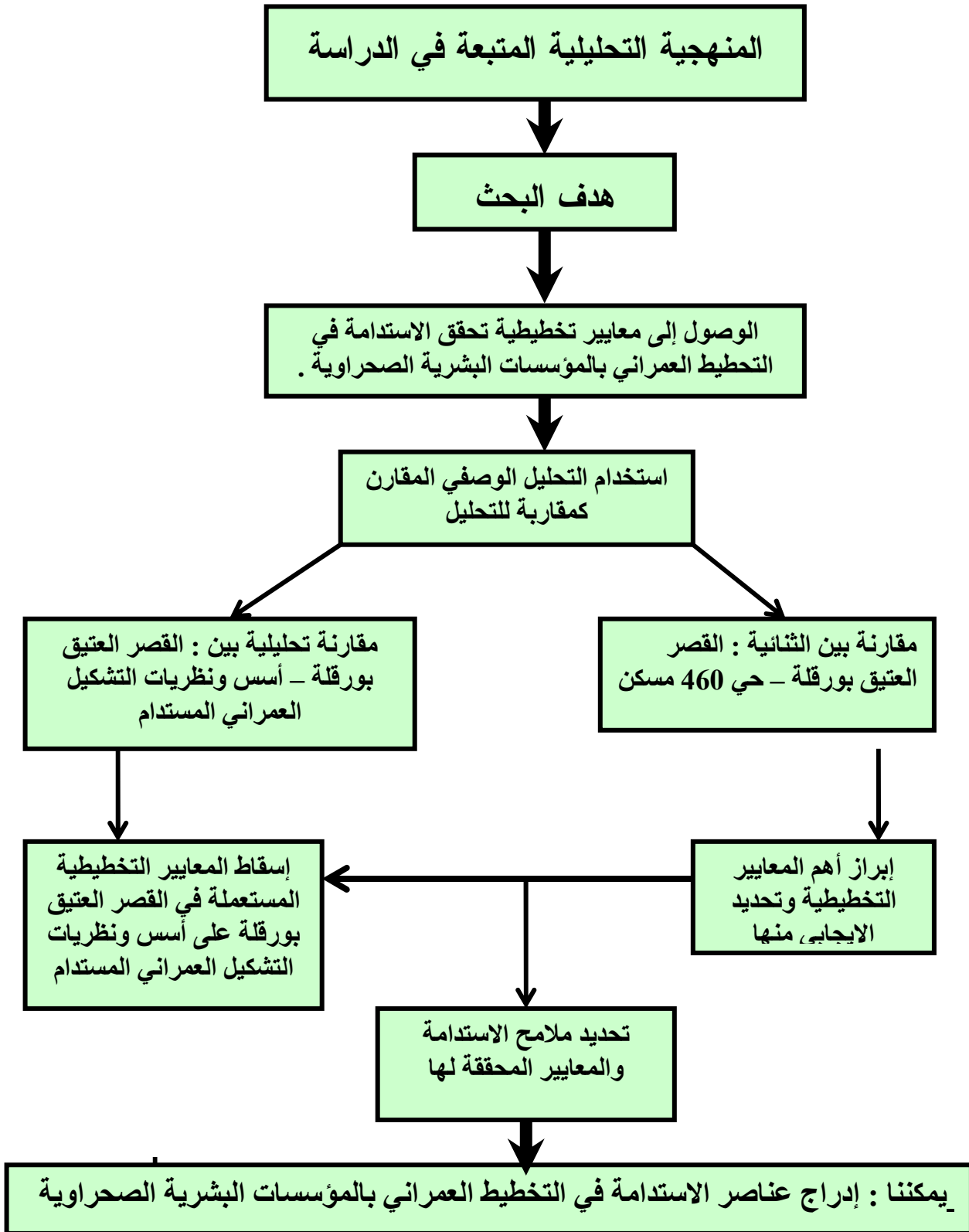
* **استعمال المصادر الميدانية**: وهي مجموع الوثائق القديمة (الأرشيف)، الخرائط ، الصور الفوتوغرافية والإحصائيات المنجزة من طرف الجهات الرسمية ، والمعطيات المناخية التي تتميز بها المنطقة.

* **إستخدام إستمارة الاستبيان**: وهي طريقة ذات أهمية في عمليات البحث تعتمد على طريقة العينة يستخدم فيها الباحث أسئلة منتقاة حسب طبيعة البحث المنجز لتوضيح ظاهرة ما يريد التحقق من خلالها على صحة فرضياته ، والوصول إلى إجابات لأسئلته البحثية.

كل هذه الأدوات المستخدمة في الدراسة الميدانية للبحث تعتبر بمثابة اختبار عن قرب وتحليل ميداني لجزء من مدينة بواسطتها يتم تسهيل الوصول إلى توضيحات للمشكلة البحثية .

11- الهيكل العام لمنهجية البحث:

من خلال ما سبق اعتمدنا مخطط هيكلي مساعد لسير البحث الذي بين أيدينا ليكون بمثابة ورقة عمل توجيهية للمسار البحثي تم تلخيصها في الشكل الآتي: (الشكل IV-40).



الشكل (1-IV): يبرز المخطط الهيكلي لخطوات البحث.

المصدر: (الباحث، 2010).

الخلاصة:

من خلال عرض هذا الفصل استنتجنا أن منهجية المقارنة لها من الأهمية بمكان في تحليل ووصف الظواهر والأنماط المعمارية التي أبتكرها الإنسان على مر العصور الفارطة ، فهي مقارنة تحليلية تمكننا من التعمق والتدقيق في خبايا العمران والعمارة، وتمحيصها بشكل يعطينا الفرصة باستقراء واستنتاج كل ما هو مفيد ونبذ الغير صالح من أشكال التعمير التي راح ضحيتها الكثير من متخذي القرارات التخطيطية خاصة في المناطق التي تتميز بخصوصيات اجتماعية، بيئية، واقتصادية خاصة. ومن هذا المنطلق اعتمدنا هيكله بحث استخدمنا فيها المقارنة مع التحليل والوصف بالرجوع إلى أهم النظريات التي أعتمدها الباحثين الغربيين والعرب على حد سواء ، ولتدقيق أكثر فإننا سنقدم دراسة تشمل مستويين هامين في التخطيط هما: المستوى الحضري والمستوى المبنى لكي تكون دراستنا أكثر شمولية وذلك عن طريق اختيار عينتين للدراسة نسيج قديم هو القصر العتيق بورقلة والآخر حديث هو حي 460 مسكن بورقلة، كما حرصنا أن تكون الدراسة تمس أهم العناصر المحورية الثلاثة للتنمية المستدامة ألا وهي البيئة، المجتمع والاقتصاد، وهذا ما سنتطرق إليه في الدراسة التحليلية القادمة.